المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة



أهمية دراسة السيرة النبوية
والعناية بها في حياة المسلمين

د . محمد بن محمد عواجي

ندوة
عناية المملكة العربية السعودية
بالسنة والسيرة النبوية

المقدمة

وفيها:

١- أهمية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأهمية الكتابة في هـــذا الموضوع، وسبب اختياره.

٢- خطة البحث.

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي قال الله عنه: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣] وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثره، وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعد: فإن نعم الله على عباده كثيرة جداً، وإن من أجلّ تلك النعم وأعظمها نعمة الإسلام، فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ومما لا ريب فيه أن الدين الإسلامي له شرائع ونظم، منها ما يتعلق بالعبادة ومنها ما يتعلق بالأخلاق والمعاملات والسياسة وغيرها، وهذه كلها مجموعة أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقواله وتقريراته، ولا تُعْرَفُ تلك الشرائع إلا باتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، قال جل شأنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر، آية ٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[الأحزاب، آية: ٢١]. بل وحذَّر الله من مخالفته، فقال عز من قائل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور، آية: ٦٣].

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[2].

ومما لا شك فيه أيضاً أن سيرته عليه الصلاة والسلام قد اشتملت على أقواله وأفعاله وتقريراته، فهي إذاً التجسيد الحيّ لتعاليم الإسلام، بل هي الصورة المشرقة لسلوكيات النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه.

لذلك كانت الكتابة في هذا الموضوع من الأهمية بمكان، والسبب في ذلك ما ذكرت من حاجة الناس في هذا الزمن على وجه التحديد من عمر الرسالة المحمدية، والعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة، ففي سيرته امتزجت أقواله بأفعاله، وظهر هديه صلى الله عليه وسلم في دعوته ومراحلها، وسياسته في حروبه وتعامله مع الآخرين، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا، لا تعرف إلا من خلال دراسة السيرة النبوية دراسة واعية متأنية، فهي نبراس لكل من أراد النور في الدنيا والآخرة.

من هنا حاولت أن أجمع هذا العنوان الواسع "أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين".

وأجعله في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث ثم الخاتمة، فالفهارس.

١- المقدمة وفيها: أهمية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأهمية الكتابة في هذا الموضوع وسبب اختياره.

٢- وأما التمهيد ففيه:

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٧١٨) وغيره.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم رقم (١٧١٨).

ـــ تعريف السيرة لغة واصطلاحاً.

ـــ مدلول كلمة "السيرة النبوية".

ـــ خصوصية السيرة النبوية.

وأما المباحث الخمسة فهي:

المبحث الأول: أهمية دراسة السيرة النبوية، من الناحية الدينية [المنهج الدعوي].

المبحث الثاني: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية الاجتماعية.

المبحث الثالث: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية السياسية.

المبحث الرابع: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية الاقتصادية.

المبحث الخامس: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية العسكرية.

ثم الخاتمة، وقد اشتملت على ذكر أهم ما جاء في البحث.

فالفهارس العامة.

وأخيراً أشكر الله سبحانه وتعالى أن وفقني للكتابة في هذا البحث وإتمامه، وهذا جهد المقل، ثم أشكر ولاة الأمر في هذه البلاد المباركة على ما بذلوه، ويبذلونه من جهود لإقامة شرع الله سبحانه وتعالى، نسأل الله لهم الثبات على الحق.

والشكر موصول للقائمين على هذا الصرح العظيم "مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة" لحسن اختيارهم هذه الموضوعات، وفي هذا الوقت، إذ تعصف بالأمة الإسلامية رياح التغيير بصفة عامة وما تتعرض له هذه البلاد بصفة خاصة.

نسأل الله أن يردّ المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً وأن يؤلف بين قلوبهم ويصلح ذات بينهم إنه جواد كريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

وفيه:

١ــ تعريف السيرة لغة واصطلاحاً.

٢ــ مدلول كلمة السيرة النبوية.

٣ــ خصوصية السيرة النبوية.

التمهيد

١- تعريف السيرة لغة واصطلاحاً

فالسيرة لغة: السُّنَّة، وقد سارت وسِرْتُها، قال الشاعر:

فلا تَجْزَعَن من سُنَّة أنت سرْتَهَا   فأول راضٍ سنّةً مَنْ يسيرُها[١]

والسيرة: الطريقة، يُقال: سار بهم سيرة حسنةً.

والسيرة: الهيئة، وفي التنــــزيل:﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه:٢١].

والسيرة: الضرب من السَّيْر[٢].

ويلاحظ أنّ من معاني السيرة لغة: السُّنَّة.

والسيرة النبوية اصطلاحاً: هي الترجمة المأثورة لحياة النبي ﷺ[٣].

أو هي: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقيــــة أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[٤].

وهذا التعريف ذكره المحدِّثون للسنة، وهو تعريف للسيرة أيضاً؛ لأنّ من معاني السيرة في اللغة: السُّنّة، ولأنّ التعريف اشتمل على ذكر حياة النبي ﷺ كلها قبل البعثة أي: من ولادته وبعدها حتى وفاته.

---

(١) البيت: لخالد بن زهير، ابن أخت أبي ذؤيب، انظر: لسان العرب، مادة: سير.

(٢) لسان العرب، مادة: سير، والقاموس المحيط، مادة: سير.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (١٥٢/٢).

(٤) قواعد التحديث، للقاسمي ص (٣٥-٣٨).

٢- مدلول كلمة: السيرة النبوية

إذا قيل السيرة النبوية، فإنما يراد بها سيرة نبي الله ورسوله محمد بن عبدالله ﷺ، والتي تشتمل على ذكر أدق التفاصيل عن حياة سيدنا ونبينا محمد ﷺ في المرحلة المكية والمدنية، وعلى هذا درج المؤلفون عن حياة النبي ﷺ بتسمية مؤلفاتهم بالسيرة النبوية، كالسيرة النبوية لابن إسحاق، وتهذيب ابن هشام[١]، والسيرة النبوية لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، والسيرة النبوية لعبد الغني المقدسي (ت: ٦٠٠هـ)، والسيرة النبوية لابن عساكر، المطبوعة ضمن تاريخه الشهير بتاريخ ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) وغيرها[٢].

والملاحظ أنّ هذه المصنفات الموسومة بالسيرة النبوية، جميعها تتحدث عن حياة النبي ﷺ في المرحلة المكية والمرحلة المدنية، إلا أن بعضها أكثر تفصيلاً عن حياته عليه الصلاة والسلام من بعض[٣].

٣ـ خصوصية السيرة النبوية

تمتاز السيرة النبوية بخصائص عدة لا يمكن حصرها منها:

١- كونها ربانية المصدر، بمعنى أنّ صاحبها وهو نبينا محمد ﷺ مرسل من ربه إلى الناس كافة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ

---

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان (١٧٧/٣).

(٢) هناك مؤلفات أخرى كثيرة تحمل عناوين أخرى، مثل: تسمية البعض لسيرة ابن إسحاق بالمغازي والسير، انظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي ص (٢٣٢)، ومغازي عروة بن الزبير (ت: ٩٤هـ)، ومغازي موسى بن عقبة (ت: ١٤١هـ) وهي تتحدث عن حياة النبي ﷺ في المرحلة المكية والمدنية، انظر: مرويات عروة بن الزبير ص (٤٦-٤٧)، لعادل عبد الغفور، ومغازي موسى بن عقبة ص (١٩) جمع ودراسة وتخريج محمد باقشيش.

(٣) كالسيرة النبوية لابن إسحاق، تهذيب ابن هشام، والسيرة النبوية لابن عساكر.

جَمِيعًا ﴾ ويتلقى تعاليمه من الله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم:٣، ٤]، ولا يقول شيئاً من ذات نفسه فيما يتعلق بأوامر النبوة والرسالة أبداً، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦].

وهذه الخصوصية وإن كان يشاركه الأنبياء في بعضها إلا أن نبينا انفرد بكونه ﷺ مرسلاً إلى الناس كافة، فأوامره ونواهيه ملزمة ومقررة للناس جميعاً.

٢- ثبوتها وصحة ما جاء فيها: فقد أورد القرآن الكريم صوراً من سيرة النبي ﷺ على سبيل الإجمال، حيث أشار إلى الحالة التي نشأ عليها ﷺ في أول حياته: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[الضحى:٦-٨]، ثم نزول الوحي عليه:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[العلق:١-٥].

وبداية دعوته:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]، ثم بعض أخلاقه وشمائله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤]،﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران:١٥٩]، ثم في جهاده وغزواته، ففي بدر:﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال:٥].

وفي أحد:﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[آل عمران:١٢١].

وفي الخندق:﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[الأحزاب:١٠-١١].

وفي حنين:﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[التوبة: ٢٥].

فالقرآن الكريم مليء بمثل هذه الإشارات المقتضبة، وعلى هذا فالقرآن الكريم يعدُّ المصدر الأول لسيرة النبي ﷺ، وكفاك به صدقاً وعدلاً ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢].

كما أنّ كتب السنة قد نقلت لنا معظم سيرة الرسول ﷺ وبأصح ما جاء فيها، حيث أورد البخاري ومسلم في صحيحيهما جملة كبيرة من السيرة النبوية، وكذا بقية كتب السنة.

٣- شمولها وكمالها: فلا تكاد تجد سيرة لنبي من أنبياء الله السابقين وصفت وصفاً دقيقاً ابتداء من ولادته حتى وفاته وبقيت بعده، فضلاً عن غيرهم من البشر، لكن سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم شملت جميع مراحل حياته، بل وقبل ولادته حتى وفاته عليه الصلاة والسلام، بل وفي بعض أحداثها ذكر اليوم والشهر والسنة، وشاملة لجميع مناحي الحياة الإنسانية، فتجد فيها الوسطية، والعدل والمساواة والحرية، والرفق بالإنسان والحيوان

وغيرها.

٤- وسطيتها ويسرها: فدين الإسلام عموماً جاء بالوسطية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا))[(١)].

وقال ﷺ: ((إنما بعثتم مُيَسِّرين و لم تبعثوا معسِّرين))[(٢)].

وقال لمعاذ عندما بلغه إطالة صلاته بالناس: ((يا معاذ أفتّان أنت، أو أفاتن أنت؟ ثلاث مرات، فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى))[(٣)].

فأمّة الإسلام أمة وسطية معتدلة، قال أبو جعفر الطبري: ((فلا هم أهل غُلُوٍّ فيه، غُلُوَّ النصارى الذين غَلَوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين أبدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل وسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها))[(٤)].

إلى غير ذلك من خصائص السيرة النبوية.

---

(١) البخاري، رقم (٦٩) عن أنس، ومسلم، رقم (١٧٣٢) عن أبي موسى بلفظ ((بشرو ولا تنفروا ...)).

(٢) البخاري، رقم (٢٢٠) .

(٣) البخاري رقم (٧٠٥)، ومسلم، رقم (٤٦٥).

(٤) تفسير الطبري (١٤٢/٣)، تحقيق، أحمد شاكر.

المبحث الأول: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية الدينية (المنهج الدعوي)

والحديث في هذا المبحث يقتصر على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: في المراحل الدعوية

الأمر الثاني: التركيز على الجانب العقدي.

الأمر الثالث: أن السيرة النبوية مصدر معين لمن يريد التبحر في علوم الشريعة.

الأمر الأول: في المراحل الدعوية

تعدُّ السيرة النبوية لب الإسلام وروحه، وتجسيداً حيًّا لجميع تعاليم الإسلام، فلا يستغني عن النظر فيها أي عالم أو طالب علم، فهي دوحة عظيمة فيها كل الثمار اليانعة، كلٌّ يقطف منها ما يناسبه، وكيف لا تكون كذلك وهي ربانية المصدر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾[النساء:١٧٠].

فلو أمعن الإنسان النظر في السيرة النبوية لوجدها من الناحية الدينية كاملة المنهج، وأقصد بذلك المنهج الدعوي الذي سار عليه ﷺ في مكة، فقد وضع ﷺ أسساً لهذا المنهج يتمثل فيما يلي:

١-دعوة الأقارب من زوجة وأبناء، ومن وضعهم الله تحت يده بادئ ذي بدء؛ ولذلك نجد أن الرسول ﷺ عندما نزل عليه الوحي وأمر بتبليغه في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾[المدثر: ١، ٢].

بدأ بأهل بيته، فأسلمت خديجة رضوان الله عليها، بل كانت أول النساء إسلاماً على الإطلاق.

ثم أسلم من الصبيان عليّ رضي الله عنه، ثم من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه.

وهذا هو المنهج السليم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول:﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾[البقرة:٤٤]، وقوله سبحانه ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[الصف:٣]، وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾: [التحريم:٦].

وقوله عليه الصلاة والسلام: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))(١).

فإذا أصلح الإنسان من نفسه وأهل بيته انتقل إلى المرحلة التالية وهي:

٢- إنذار العشيرة، كما قال جل شأنه لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٤].

فنهض النبي ﷺ وصعد ﷺ على الصفا منادياً: ((يا بني فهر، يا بني عدي ...)) الحديث(٢).

فهذا التدرج في مراحل الدعوة منطقي جدّاً يجب الوقوف عنده، وقد استمر ﷺ في دعوته لقريش و لم يخرج منها إلى أي بلد حتى أكمل عشر سنين، مواصلاً دعوته لهذا الدين القوي دون كَلَل أو ملل. بعد ذلك انتقل إلى قبيلة أخرى تعد من أقرب القبائل العربية لقريش نسباً وصهراً(٣) وجواراً، إنها

---

(١) صحيح البخاري، رقم (٨٩٣)، ومسلم رقم (١٨٢٩).

(٢) البخاري، رقم (٤٧٧٠)، ومسلم ، رقم (٥٠٨).

(٣) أما نسباً، فإن كلاً من هوازن وقريش يلتقون في مضر، إذ إن هوازن الجد الأعلى لثقيف هو: هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

وأما قريش: فهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

انظر: جوامع السيرة لابن حزم ص (٤)، واللباب لابن الأثير (١١٢/٣).

وأما صهراً، فقد تزوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية إحدى قبائل ثقيف، وكان العباس قد تزوج أختها لبابة الكبرى، وكذا الوليد بن المغيرة فقد تزوج أختها لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية، وغيرهم . انظر: طبقات خليفة بن خياط ص (٤، ١٠، ٢٠) ، وجمهرة أنساب العرب ص (٢٧٠،٢٧٣).

قبيلة ثقيف في الطائف التي ضرب الرسول ﷺ في دعوهم أروع الأمثلة لبذل الجهد وتحمّل الأذى كما سيأتي.

٣- بذل الجهد وتحمل الأذى والصبر عليه.

انتقل النبي ﷺ إلى ثقيف بالطائف بعد أن مكث في أهل مكة عشر سنين يدعوهم إلى الله عز وجل إلا أن دعوته عليه الصلاة والسلام قوبلت بـــرفض شديد من أهل الطائف، فأصابه ﷺ من الهم والغم ما لا يعلمه إلا الله جـــراء رفضهم لدعوته ﷺ.

٤- لما استقر النبي ﷺ في المدينة وبعد أن فرض الجهاد بدأ عليه الصـــلاة والسلام يرسل السرايا والبعوث إلى القبائل العربية لنشر الإسلام تارة، ويخرج هوبنفسه الشريفة ﷺ تارة أخرى، فلم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حـــتى عـــمَّ الإسلام الجزيرة العربية كافة، بل وكان قد جهز جيشاً لغزو أطراف الشـــام قبيل وفاته عليه الصلاة والسلام بقيادة أسامة بن زيد رضي الله عنـــه تمهيـــداً لفتح الشام والعراق، لكنه توفي ﷺ قبل إنفاذ هذا الجيش.

٥- ثم جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأكمل المسيرة، وأنفذ جيش أسامة الذي عقد لواءه النبي ﷺ قبل وفاته، وذلك على الرغم من معارضـــة بعض الصحابة عندما أشاروا على أبي بكر بأن يمسك بعث أسامة؛ خشية أن تميل العرب بعد سماعهم بوفاة رسول الله ﷺ على المدينة، فقال قولته الشهيرة: ((أنا أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ؟ لقد اجترأتُ على أمـــر عظـــيم، والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحب إليّ أن أحبس جيشـــاً بعـــثهم

رسول الله ﷺ ...»[1] ثم أمضاه.

وما ذلك إلا لأن الإسلام دين عالمي ولا بد أن يَعُمَّ نفعه أرجاء المعمورة، قال جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨] وقال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ ملك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها ...»[2].

ولأنّه ﷺ خاتم النبيين، قال جل شأنه:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠].

ولأنّ دينه ناسخ لجميع الأديان السماوية السابقة ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وهكذا وضعت السيرة النبوية منهجاً متكاملاً للمراحل الدعوية التي مـرّ بها الرسول ﷺ، وانطلقت الجحافل الإسلامية تنشر الدين في ربوع المعمـورة حتى بلغ أقاصي الدنيا شرقاً وغرباً، مما يؤكد عالمية هذا الدين الحنيف.

وهكذا وضع ﷺ منهجاً متكاملاً لمراحل الدعوة الإسلامية، فلم يُقَـدِّم مرحلة على أخرى، وليس هذا من قبيل المصادفة، بل كان عملاً مقصوداً.

فالعاملون في المجال الدعوي لا يسعهم إلا الاقتداء بـالنبي ﷺ في هـذا المجال.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، قسم الخلافة الراشدة ص (٢٠)، وانظر إنفاذ أبي بكر لجيش أسامة: تاريخ الطبري (٢٢٦/٣) وما بعـدها، والمنتظم لابن الـجوزي (٧٣/٤) وما بعـدها، والبداية والنهاية لابن كـثير (٣٠٤/٦) وما بعدها.

(٢) مسند أحمد (٣٣٩/٢٨-٣٤٠)، رقم (١٧١١٥)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين.

الأمر الثاني: التركيز على الجانب العقدي

ظلّ النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد الخالص. وهذا أمر معلوم، لكن ليس معنى هذا أنه لم يكن يدعو إلا إلى التوحيد فقط، بل كان يدعو إلى صدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، والنهي عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة[1]، إلاّ أن تركيزه ﷺ على الجانب العقدي كان أكثر. والحق أن التركيز على الجانب العقدي في غاية الأهمية؛ لأنّ الإيمان إذا وقر في القلب انتفت جميع الشوائب المؤدية إلى زعزعة الإيمان، وقد آتت دعوة النبي ﷺ المكية وتركيزه على الجانب العقدي ثمارها يلحظ من قرأ تاريخ حروب الردة التي أعقبت وفاة النبي ﷺ فلم نجد أحداً ارتد من المهاجرين والأنصار أبداً، وما ذلك إلا لرسوخ الإيمان في قلوبهم رضوان الله عليهم أجمعين.

وعلى هذا فالواجب على الدعاة اليوم غرس العقيدة الصحيحة في النفوس أولاً مع الاهتمام أيضاً بالجوانب الأخرى التي مرّ ذكرها آنفاً.

وعندما يركز الداعية اهتمامه على الجانب العقدي، فلا بد أن يدرك معنى قول المصطفى ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[2].

والحقّ أنّ تلك المضغة إذا وقر الإيمان فيها، منعت صاحبها من الوقوع في الفواحش بأنواعها.

---

(١) انظر: مسند أحمد (٣/٢٦٣،٢٦٦)، رقم (١٧٤٠) من حديث أم سلمة، وهو حديث حسن، فقد صرح ابن إسحاق فيه بالتحديث.

(٢) البخاري، رقم (٥٢)، ومسلم، رقم (٤٠٩٤) .

الأمر الثالث: أنّ السيرة النبوية مصدر مَعِين لمن يريد التبحر في علوم الشريعة

فعن طريق السيرة تعرف قضية الناسخ والمنسوخ من الآيات والأحاديث، وهي ناحية مهمة جدًّا يترتب عليها كثير من الأحكام الشرعية[1].

كما أن من معرفة نزول الآيات وأسبابها من الأمور المهمة التي بمعرفتها تعرف أحداث السيرة النبوية كتلك التي نزلت في غزوات النبي ﷺ.

أيضاً هناك بعض الأمور التي لا يستغني عن معرفتها أي طالب علم فضلاً عن العلماء، وذلك مثل المعجزات التي أجراها الله على يدي النبي الكريم ﷺ فمعرفتها تزيد - ولا شك - في الإيمان، وكذا معرفة ما كابده ﷺ من مشاق في سبيل تبليغ هذا الدين وصبره على ذلك.

---

(١) مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ص (٦٢-٦٣) بتصرف.

المبحث الثاني: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية الاجتماعية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في كيفية تعامله ﷺ مع خصومه من الكفار وصبره على أذاهم.

المطلب الثاني: في كيفية تعليمه ﷺ لبعض الصحابة وتربيته لهم.

المطلب الثالث: في كيفية تعامله ﷺ مع بعض المشكلات الاجتماعية.

المطلب الأول: في كيفية تعامله ﷺ مع خصومه من الكفار وصبره على أذاهم

لقد سلك النبي ﷺ طريقة عجيبة في كيفية دعوة الناس إلى الإسلام، ستظل نبراساً لكل من أراد الاهتداء بهديه سالكاً طريقته عليه الصلاة والسلام، إنّها طريقة الصابرين ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[الروم:٦٠].

إنّ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام مليئة بالمواقف العجيبة التي تَجلَّى فيها حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره على الأذى من أجل المحافظة على العلاقة الاجتماعية.

١- لما نزلت الآية الكريمة﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤].

صعد النبي ﷺ على الصفـــا، فجعـــل ينـــادي: يا بني فهر، يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرَّجُل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: ((أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدِّقيّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عـــذاب شديد، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنـــزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾[1][المسد:١-٢].

---

(١) البخاري رقم (٤٧٧٠)، ومسلم رقم (٢٠٤) واللفظ للبخاري.

فانظر إلى موقف أبي لهب العجيب من النبي ﷺ يصدقه أولاً، ثم يكذبه ويسخر منه ومن مقولته، بل إن مجيئه ابتداء وتلبيته لنداء النبيﷺ يدل على تصديقه، لكنه ما تمالك نفسه حتى نال من النبي الكريم ﷺ وهو الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

والحق أن الأعجب من ذلك هو موقف النبيﷺ من أبي لهب، فلم يرد عليه مقولته؛ لأنّه يعلم يقيناً إنْ ردّ عليه فسينقسم الناس إلى قسمين، قسم مؤيد لأبي لهب مستنكرين رَدَّ النبي ﷺ بحكم موقع أبي لهب النَّسَبي، فهو عَمُّه، وعمُّ الرجل صنو أبيه[1]، وقد يَعُدُّ بعضهم ذلك الرد تطاولاً من النبي على عمِّه، وقسم مؤيد للنبي ﷺ، وبهذا يفسد الهدف الذي من أجله كان الاجتماع، وهو دعوتهم إلى الله، وإقامة الحجة عليهم فآثر السكوت عليه الصلاة والسلام، مفوضاً أمره إلى الله سبحانه وتعالى، فلم يكن النبي ﷺ فحاشاً ولا صخاباً، فتولى الباري جل وعلا الرد على أبي لهب، فأنزل في شأنه سورة تتلى إلى يوم القيامة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾الآيات [المسد:١-٣].

٢- قال ابن إسحاق: «ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده[2]، فلما وصل إليهم ودعاهم إلى الإسلام ردُّوه أقبح رد، وأغلظوا له القول، بل وحرَّشُوا

---

(١) جزء من حديث، أخرجه مسلم، رقم (٩٨٣) وغيره.

(٢) سيرة ابن إسحاق (ابن هشام) (٤١٩/١).

عليه الصبيان والسفهاء، فآذوه ورموه بالحجارة حتى سال الدم من عقبيه الشريفين عليه الصلاة والسلام، فكان موقفاً أليماً، رجل يدعو قومه إلى الله عز وجل، وهم يكذبونه ويتجهمونه، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: ((هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: ((لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ، وأنا مهموم على وجهي[1]، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[2]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادى فقال: ((إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: ((يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[3]، فقال النبي ﷺ: ((بل أرجو أن يخرج الله مِن أصلابهم مَن يعبده وحده لا يشرك به شيئاً))[4].

فانظر إلى صبر النبي ﷺ وحلمه، الدم يسيل من عقبيه الشريفين، ويسأله ملَك الجبال إن كان يريد أن يطبق عليهم الأخشبين يفعل، ومع ذلك يتضرع إلى الله سبحانه، ويدعوه أن يخرج مِنْ أصلابهم مَنْ يعبده وحده، لا يشرك به

---

(١) أي على الجهة المواجهة لي، الفتح (٦/٣١٥) تحت شرح حديث رقم (٣٢٣١).

(٢) قرن الثعالب، هو ميقات أهل نجد، ويقال له أيضاً قرن المنازل. المصدر السابق.

وهو على طريق الطائف من مكة المار بنخلة اليمانية، يبعد عن مكة ثمانين كيلاً، ومن الطائف ثلاثة وخمسين كيلاً. المعالم الأثيرة في السنة النبوية، لمحمد شراب.

(٣) المراد بالأخشبين: جبلا مكة، أبو قبيس، والذي يقابله وكأنه قُعَيْقِعَان، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما ، والمراد بإطباقهما : أن يلتقيا على من بمكة . الفتح (٦/٣١٦)، تحت شرح حديث رقم (٣٢٣١).

(٤) البخاري مع الفتح (٦/٣١٦) حديث رقم (٣٢٣١).

شيئاً! سبحان الله! ما أعظمها من دروس، أين دعاة اليوم من هذه الـــدروس العظيمة في الصبر والحلم والعفو والصفح؟

فلو دعا عليهم ووافق المَلَك فيما أُمر به لهلكت قريش، ولكن ثم مـــاذا؟ فإذا هلكت قريش وهي ريحانة العرب فماذا بقي؟

لكن يظهر أيضاً أن القضية أكبر من ذلك، فهي دروس تعليمية للدعاة من أمته عليه الصلاة والسلام، فلو أن كل من أصابه بلاء انتقم لنفسه لم يبق للصبر ثمرة، كيف وقد رتب الله عليه أعظم الأجر، حيث قال جـــل شأنه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

وما هي إلا سنوات قلائل، وتفتح مكة على يد النبي ﷺ، في السنة الثامنة من الهجرة وتتحقق دعوته ﷺ، ويُسْلم بقية أهل مكة بعد أن عفا عن كل من ناصبه العداء، ثم تأتي ثقيف فتدخل في الإسلام، ويعم الخـــير العظـــيم هـــاتين القبيلتين، وشاء الله أن يقبض نبيه ﷺ ويتوفاه بعد فترة وجيزة تقارب السنتين، ويرتد كثير من العرب عن الإسلام، لكن العجب أن قبائل قريش وثقيف لم يرتد منهم أحد، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: ((خياركم في الجاهلية خيـــاركم في الإسلام إذا فقهوا))[1]. فقد كانت قريش من خيار العـــرب، وكيـــف لا يكونون كذلك والرسول الكريم ﷺ منهم؟ وهكذا نرى آثار تلك الدعوات الصادقة قد آتت ثمارها، وذلك الحِلْم والعفو والصبر والصفح أثمر غراســـه، فصلى الله عليه وسلم.

٣- خرج النبي ﷺ في السنة السابعة من الهجرة لفتح خيـــبر، وكانـــت

---

(١) البخاري، رقم ٣٣٥٣٠)، ومسلم، رقم (٢٣٧٨).

معقل يهود بعد إجلاء بني النضير إليها، فلما وصلها ﷺ حاولت يهود قتله ﷺ بطريقة حقيرة ودنيئة تنم عن خبث ومكر اليهود، فعن أنس رضي الله عنه: «أن امرأة[1] يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك، قال: «ما كان الله ليسلطك على ذاك، قال: أو قال: «عليّ» قال: قالوا ألا نقتلها؟ قال: «لا»»[2].

فانظر إلى سماحة الإسلام، لم يأمر ﷺ بقتلها مع أنها اعترفت بجريمتها وظفر بها، ومع ذلك عفا عنها؛ لأنّ الإسلام دين السماحة والعفو.

٤- لما خرج النبي ﷺ لفتح مكة في السنة الثامنة[3] من الهجرة وبالتحديد في شهر رمضان[4] كان عدد جيش المسلمين عشرة آلاف رجل، فرأت قريش أنه لا طاقة لها بقتال النبي ﷺ، وظنت أنه سيبطش بها، لكن النبي ﷺ عفا عن الجميع، فأسلم عدد كبير منهم، بل وعندما جاءت غنائم حنين، جعل ﷺ يعطي بعضهم عطاء جزلاً، فقد أعطى صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة[5]، وعندما غضبت الأنصار من ذلك، ذكر لهم الرسول ﷺ أنه إنما

---

(١) اسمها: زينب بنت الحارث، أخي مرحب، وهي امرأة سلاّم بن مِشْكم، ذكر ذلك ابن إسحاق (ابن هشام) (٢/٣٣٧)، وابن سعد في الطبقات (٢/٢٠١).

(٢) صحيح مسلم، رقم (٢١٩٠) وقد ذكر عبد الرزاق في المصنف، رقم (١٩٨١٤) عن الزهري أنها أسلمت، وكذلك ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٤٩٧-٤٩٨) نقلاً عن مغازي سليمان التيمي أنها أسلمت أيضاً.

(٣) صحيح البخاري، رقم (٤٢٧٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) كصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، انظر قصة هروبهما، الموطأ رقم (٤٤)، وابن إسحاق (ابن هشام) (٢/٤١٧-٤١٨)، وفيه ضعف لكن قال ابن عبد البر في التمهيد (١٢/١٩): « وشهرة هذا الحديث أقوى من إسناده » إن شاء الله.

أعطاهم من أجل أنه يتألفهم لأنهم حديثو عهد بكفر[1].

إنّ القصد من ذكر تلك الأمثلة المتقدمة هو أنه ﷺ كان يحاول جاهداً تجنب المصادمة والمواجهة مع القبائل القرشية في المرحلة المكية، وحرص على تألفهم بعد الهجرة مروراً بقصة الحديبية عندما قال لهم: «يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ...» الحديث[2]، وانتهاءً بقصته معهم بعد حنين.

هكذا تتجلى سماحة الإسلام في تألُّف الناس، والتودد إليهم، والصفح عن مسيئهم؛ لتقوية آصرة الروابط الاجتماعية.

المطلب الثاني: في كيفية تعليمه ﷺ لبعض الصحابة وتربيته لهم

إذا كان النبي الكريم ﷺ حريصاً على تألف الناس للدخول في الإسلام، فإنّه كان أشد حرصاً على تعليم من أسلم منهم بالرفق واللين في حالة حدوث تصرفات من بعضهم بسبب جهلهم بتعاليم الإسلام أو لقربهم من العهد الجاهلي وعاداته السيئة، من ذلك:

١- قصة الأعرابي[3] الذي قدم من البادية ممتطياً بعيره حابساً بوله حتى

---

(١) انظر: صحيح مسلم، رقم (٢٣١٣).

(٢) السيرة النبوية لابن إسحاق (ابن هشام) (٢/٣٠٨-٣٠٩) بسند جيد.

(٣) اختلف في اسم هذا الأعرابي، فقيل: ذو الخويصرة، وقيل: عيينة بن حصن، وقيل: الأقرع بن حابس، انظر: الفتح (١/٣٢٣-٣٢٤).

قدم المدينة، بل وحتى دخل مسجد رسول الله ﷺ، والنبي الكريم عليه الصلاة والسلام جالس مع أصحابه إذ بهذا الأعرابي ينيخ بعيره، ويتوجَّه إلى ناحية من نواحي مسجد رسول الله ﷺ، وأمام أعين الناس يرفع ثوبه ويجلس ليتخلص من بوله في مسجد رسول الله ﷺ، إنه منظر يثير الدهشة، سلك طريقاً طويلة لم يجد مكاناً يتبول فيه إلا مسجد رسول الله ﷺ!!

لذلك أثار فعله هذا حفيظة أصحاب رسول الله ﷺ فقاموا ليمنعوه وينهروه، ولكن الرجل استمر في بوله غير عابئ بتلك الصرخات التي تعالت عليه من جوانب المسجد تستنكر هذا الفعل، إلا أن النبي الكريم والمربي الحكيم أنقذ الموقف بقوله ﷺ للصحابة: «دعوه».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يتبوَّل في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ، مَهْ مَهْ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه[1] دعوه[2]»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القَذَر، إنّما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه[3][4].

---

(١) لا تُزْرموه: بضم التاء وإسكان الزاي، وبعدها راء، أي: لا تقطعوا عليه بوله. النووي مع مسلم (١٩٠/٣).

(٢) قال النووي: «قال العلماء: كان قوله ﷺ : دعوه ، لمصلحتين: إحداهما: أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به، والثانية: أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجس ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد، والله أعلم» ا.هـ. النووي على مسلم (١٩١/٣).

(٣) فَشَنَّه عليه: أي صَبَّه. المصدر السابق.

(٤) مسلم، رقم (٦٦١)، والبخاري مختصراً رقم (٢٢٠).

فانظر إلى هذه الحادثة العجيبة، وكيف ساق الله هذا الأعرابي ليعمل ذلك العمل وكيف تعامل النبي ﷺ مع تلك الحادثة، ليتعلم الصحابة ومن بعدهم إلى يوم الدين الرفق واللين منه عليه الصلاة والسلام.

٢- وهناك موقف آخر حدث لبعض الصحابة تجلت فيه حكمة النبي ﷺ وتربيته في معالجة الأمور، فقد دخل رجل في الصلاة مع النبي ﷺ فبينما هم كذلك إذ عطس رجل ممن كان يصلي معهم، فَشَمَّت هذا الرجل ذلك العاطس بقوله: «يرحمك الله» ويظهر أنه كان قد تعلم أن العاطس يُشَمَّت مطلقاً، لأنّ النبي ﷺ قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه - أو صاحبه - يرحمك الله ...» الحديث[١]. ولا سيما أن الكلام في الصلاة في أول الإسلام كان جائزاً، فقد قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: «كنّا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾[البقرة:٢٣٨] فأُمِرنا بالسكوت، ونُهينا عن الكلام»[٢]. ويظهر أيضاً أنه لم يبلغه النهي، إما لأنه كان يسكن خارج المدينة أو لأمر آخر، فلما قضى النبي ﷺ استدعاه، وعلّمه تعليماً نبويّاً تجلّت فيه التربية المحمدية.

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ: إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثُكْل[٣] أمياه! ما شأنكم تنظرون إليّ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصَمِّتونني لكني سكتّ، فلما صلى

---

(١) البخاري، رقم (٦٢٢٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/٢٦).

(٣) الثُّكْل: بضم الثاء وإسكان الكاف وبفتحها: فقدان المرأة ولدها. شرح النووي على مسلم (٥/٢٠).

رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كَهَرَني[1]، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنّما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن» أوكما قال رسول الله ﷺ ...الحديث[2].

قال الإمام النووي في شرحه للحديث: «فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخُلُق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته، وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه[3].

هذه هي تعاليم الإسلام التي جاء بها الهادي البشير ﷺ، وهكذا كان يعلم النبي ﷺ أصحابه، والتعليم بهذا الأسلوب النبوي العجيب هو المثمر، وهو الذي يجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، أما الغلظة والجفاء والسخرية والاستهزاء والازدراء فليست من الإسلام في شيء.

وصدق الله سبحانه إذ يقول في حق نبيه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤]، والقائل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران:١٥٩] فصلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) ما كَهَرَني: أي ما انتهرني . المصدر السابق.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/٢٠).

(٣) المصدر السابق.

المطلب الثالث: في كيفية تعامله ﷺ مع بعض المشكلات الاجتماعية

إنّ التلاحم والترابط الاجتماعي في ظل العقيدة الإسلامية، والأخوة الإيمانية، يولّد شعوراً كبيراً في نفس المسلم، تجعله يعيش في حياة سعيدة طوال حياته؛ لأنّه فَقِه قول المصطفى ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[1].

ولا شكّ أن الروابط التي تجمع الناس تختلف من مجتمع لآخر، فهناك روابط مشتركة بين أمة وأخرى بسبب المصالح الدنيوية، فإذا فقدت تلك المصالح انتهت تلك الروابط، وقد تجتمع الروابط بسبب آصرة القربى النَّسبي أو العِرْقي، ولكن رابطة العقيدة تبقى بين المسلمين حتى الموت.

ولذلك حصر الله الأخوة والموالاة في المؤمنين فقط، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات:١٠].

وقطعها بين المؤمنين والكافرين حتى لو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو أبناءهم[2] قال جل شأنه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[التوبة:٢٣].

وسنرى بعد قليل فهم الصحابة رضوان الله عليهم للإسلام، وذلك عندما

---

(١) البخاري، رقم الحديث (١٣)، ومسلم رقم الحديث (٤٥).

(٢) السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم العمري (٢٥١/١) بتصرف.

قام النبي ﷺ بحَلّ بعض المشكلات الاجتماعية التي واجهته في المدينة والتي تمثلت بتشريعه لنظام المؤاخاة.

١- فقد واجهت النبي ﷺ مشكلة كبيرة بعد هجرته إلى المدينة تتمثل في عدم وجود مأوى مناسب للمهاجرين بالإضافة إلى عدم تمكنهم، وقدرتهم على شراء بيوت يسكنونها لأن المهاجرين رضوان الله عليهم كانوا قد تركوا ثرواتهم في مكة ولم يتمكنوا من أخذها معهم بسبب مضايقة قريش لهم، فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أَنْ شرع نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار اثنين اثنين. وكان من ضمن بنود المؤاخاة أن يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه[١]، بالإضافة إلى المواساة في كل أوجه الخير والمحبة.

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في حبهم وتفانيهم في مواساة إخوانهم المهاجرين، من ذلك قصة سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه، عندما آخى الرسول ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف وهو من المهاجرين، وكان سعد بن الربيع من أكثر الأنصار مالاً، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لما قدم علينا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلّت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك...» [٢]، وفي رواية أنه قال: «بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقك؟ فدلوه على السوق...» [٣].

(١) البخاري، رقم (٣٧٨١).

(٢) البخاري، رقم (٣٧٨١).

(٣) البخاري، رقم (٣٧٨٠).

وكان الهدف من هذه المؤاخاة إذهاب الوحشة والغربة التي أصابت المهاجرين بمفارقتهم للأهل والعشيرة، فلمّا عَزَّ الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة، وعرفوا أسباب اكتساب الرزق، أبطل الله التوارث، وبقيت الأخوة في الله، وذلك بنـزول قوله تعالى:﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴾[الأنفال:٧٥].

وبهذا النظام الذي شرعه الرسول ﷺ استطاع وبفضل الله أن يجعل من المهاجرين والأنصار لحمة واحدة، وقد أثرت هذه المواقف العجيبة من الأنصار في نفوس المهاجرين فوقفوا مبهورين من تضحيات إخوانهم الأنصار في سبيل إسعاد إخوانهم المهاجرين، فما ملكوا أنفسهم حتى قالوا: ((يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ، لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: ((لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم))[1].

وهكذا استطاع النبي ﷺ وبفضل الله حل مشكلة من أكبر المشكلات الاجتماعية التي واجهته في المدينة بعد الهجرة.

والحق أنّ موقف سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف لا يصدقه العقل، ولو لم يرد في صحيح كتب السنة لما صدقه كثير من الناس، وذلك لما فيه من تضحيات تفوق الخيال، هل يُعقل أن الإسلام والأخوة الإيمانية تجعل الشخص يبذل ماله وأهله لأخيه المسلم دون مقابل؟ نعم، يُعقل وموقف سعد خير شاهد، والله إننا لمشتاقون إلى لقائهم والنظر إليهم.

غـداً نلقـى الأحـبة ... محمّـداً وصحـبه

(١) مسند أحمد (٢٠/٣٦٠-٣٦١)، رقم ١٣٠٧٥)، وسنده صحيح على شرط الشيخين كما قال المحقق.

المبحث الثالث: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية السياسية

[سياسته صلى الله عليه وسلم في تكوين دولة الإسلام في المدينة]

كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل العربية في مواسم الحجّ وفي أسواقهم لحمايته حتى يبلغ دين الله الذي أمر بتبليغه وكان يقول لهم: «هل من رجل يحملني إلى قومه فإنّ قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي»[1] وقوله عليه الصلاة والسلام بسوق ذي المجاز: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا...»[2]. ولم يطلب منهم شيئاً غير الحماية والنصرة حتى ينفذ كلام ربه سبحانه وتعالى.

ولكن العجب أنّ تلك الدعوة اللطيفة لم تلق آذاناً صاغية من جميع تلك القبائل؛ لأنّ الله لم يرد لها الخير حينئذ، حتى هيأ الله لها نفراً من أهل المدينة قدموا مكة، فعرض عليهم الرسول ﷺ الإسلام فلم يبعدوا، ثم تتابعت اللقاءات حتى كانت بيعة العقبة الثانية التي بموجب شروطها هاجر الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة.

ولما وصل الرسول ﷺ المدينة وجد فيها العزة والقوة والمنعة لكثرة من كان قد أسلم من أهلها من الأوس والخزرج (الأنصار) بالإضافة إلى أعداد المهاجرين، إلا أنه ﷺ وجد صعوبات في نشر الدعوة، منها القبائل اليهودية الثلاث قريظة والنضير وقينقاع، وكلها تدين باليهودية، ومنها القبائل المجاورة

(١) مسند أحمد (٢٣/٣٧٠)، رقم [١٥١٩٥]، وأبو داود، رقم [٣٤٦ــ ٣٤٧]، وسنده صحيح.

(٢) مسند أحمد (٢٥/٤٠٤) رقم [١٦٠٢٣]، وسنده صحيح لغيره كما قال المحقق .

للمدينة وكلها تدين بالوثنية إلا أفراداً قلائل جدّاً دخلوا في الإسلام.

فهاتان مشكلتان تعيقان نشر الدعوة، ولا سيما مشكلة القبائل اليهودية التي عرف عنها المكر والخداع وقتل الأنبياء، بالإضافة إلى قوتها الاقتصادية والعسكرية، وتحالفاتها مع بعض القبائل العربية مما قد يسبب في حال مواجهتها عسكريّاً عدم تمكين الرسول ﷺ من الاستمرار في نشر دعوته، فما كان منه ﷺ إلا أن وضع التدابير الكفيلة لحماية الدعوة الإسلامية الناشئة.

وقد كان على النبي ﷺ أن يجعل المدينة -مقر الدعوة الإسلامية- آمنة، حتى يتفرغ لقريش أعتى قبائل العرب في زمانها، والتي تعد الحاجز الأقوى في وجه الدعوة الإسلامية، فبدأ ﷺ بموادعة القبائل المجاورة للمدينة والتي كان معظمها يدين بالشرك وهواها مع قريش، إلا أنه ﷺ قطع الطريق بينها وبين قريش عن طريق الموادعة التي تمت مع بعض القبائل وبخاصة القبائل الواقعة على الطريق التجاري لقريش المؤدية إلى الشام.

وقد تمت هذه المعاهدات بطرق عدة، لكن لا نجد تفصيلاً لبعض هذه المعاهدات، ولا سيما القديمة منها إلا ما جاء ذكره في سرية حمزة ﷺ التي أرسلها الرسول ﷺ في رمضان من السنة الأولى إلى سيف البحر في ثلاثين راكباً ليعترضوا عيراً لقريش، لكن حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفاً للفريقين[1].

فهذا يدل على أنّ هذا الحلف قد تمّ في فترة مبكرة، قبل خروج حمزة ﷺ،

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن إسحاق (ابن هشام) (١/٥٩٥)، بدون إسناد، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٦) بدون إسناد أيضاً.

ومما يدل على قدم تلك المعاهدات مجيء وفد جهينة إلى النبي ﷺ بعد مقدمه المدينة يطلبون منه أن يوثق لهم حتى يأمنهم ويأمنوه(١).

وذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ كتب لبني زُرْعة وبني الرَّبْعة من جهينة أنّهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأنّ لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلاّ في الدين والأهل، ولأهل باديتهم مَن بَرّ منهم واتقى ما لحاضرهم، والله المستعان(٢).

ولكن لم تحدد الرواية تاريخ هذه الوثيقة هل كانت بعد الهجرة مباشرة أو لا؟!

وخرج النبي ﷺ في غزوة الأبواء(٣)، وفيها وادع مخشي بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه على ألا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعاً ولا يعينوا عدوّاً، وكتب بينهم وبينه كتاباً(٤).

ووادع ﷺ بني مدلج في غزوة ذي العشيرة التي كانت في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من مهاجره ﷺ (٥).

وبعض هذه المعاهدات كانت في فترة مبكرة وبعضها كان متأخراً(٦)،

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد (١١٨/٣)، رقم (١٥٣٩) وفي سنده ضعف كما قال المحقق.

(٢) الطبقات الكبرى (٢٧٠/١) بدون إسناد.

(٣) غزوة الأبواء: كانت في شهر صفر على رأس اثني عشر شهراً من مهاجره ﷺ، انظر تفاصيلها في ابن إسحاق (ابن هشام) (٥٦١/١)، والطبقات الكبرى (٨/٢)، وتاريخ الطبري (٤٠٧/٢).

(٤) المصادر السابقة.

(٥) انظر تفاصيل هذه الغزوة في : سيرة ابن إسحاق (ابن هشام) (٥٩٨/١)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٩/٢-١٠).

(٦) انظر في ذلك: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٦٤/١-٢٩٠) فهناك كتابات ومعاهدات كثيرة.

لكنها تدل على اهتمام النبي ﷺ بالجانب الأمني لنجاح واستمرار الدعوة الإسلامية، والحق أن كل هذه المعاهدات تهدف إلى أن يأمن تلك القبائل المجاورة للمدينة ليتفرغ ﷺ لقريش واليهود الذين نقضوا العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين النبي ﷺ تدريجيّاً، والمهم أنه ﷺ استطاع أن يحل مشكلة القبائل المجاورة التي لا شك أنّها كانت له ﷺ هاجساً له شأنه.

ثم سارع الرسول ﷺ إلى حل المشكلة الثانية التي تمثل عائقاً كبيراً في قيام الدولة الإسلامية، وهي مشكلة القبائل اليهودية التي كانت تسكن المدينة إبان هجرته ﷺ وقد كانت تتبوأ مركزاً مرموقاً في المدينة بسبب ما كانوا عليه من كثرة العدد، وسعة الثروة، والمهارة الزراعية والصناعية والتجارية، ثم بسبب ما كان لهم من مكانة دينية وعلمية مستمدة من كونهم أصحاب كتاب سماوي، وكونهم ذوي صلة بالأنبياء والأمم الغابرة(١).

ولعلم النبي ﷺ السابق بغدر يهود وخبثهم ومكرهم، سارع ﷺ إلى إيجاد طريقة وحلّ أمثل تجعل من الطرفين المسلمين واليهود يعيشان في أمن وسلام، هذا الحل تمثل في المعاهدة أو [الوثيقة](٢) التي كتبها ﷺ بين المسلمين من جهة وبين اليهود من جهة أخرى.

---

(١) انظر: سيرة الرسول ﷺ صورة مقتبسة من القرآن الكريم، محمد عزة دروزة (١٢٢/٢).

(٢) انظر في صحة هذه الوثيقة من عدمها: السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري (٢٧٢/١-٢٧٥)، وصحيفة المدينة دراسة حديثية، تحقيق، هارون رشيد محمد إسحاق، وهي رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود، بإشراف الدكتور: مصطفى الأعظمي، وبيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة- وثيقة المدينة، لضيدان اليامي، وهي رسالة صغيرة لطيفة قيمة على صغر حجمها، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية من ص (٣٠٦-٣١٣) لمهدي رزق الله أحمد.

وقد اشتملت بنود هذه الوثيقة على كثير من الأمور يهمنا هنا الأمور المتعلقة بالناحية الأمنية التي منها:

٤٧ـ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ [١].

٣٩ـ وإن يثرب حرام جوفها لأهل الصحيفة.

٤٤ـ وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

٤٣ـ وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

٤٢ـ وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإنّ مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة[٢].

فهذه البنود الخمسة من أهم البنود التي تحدثت عن الأمن والأمان لأهل المدينة جميعاً مسلمهم وكافرهم.

فقد نصت الوثيقة على أنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

ومعنى هذا منع الحروب والقتال بين القبائل والعشائر، وتثبيت السلم في المدينة، وبذلك وضعت حدّاً لأقوى عامل في خلق القلق والاضطراب وما يجره من أمور[٣].

---

(١) أرقام البنود نقلتها من كتاب: السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم العمري (٢/٢٨٢-٢٨٥)، أما ما يتعلق بالتقديم والتأخير في أرقام البنود فبحسب الأهمية.

(٢) المصدر السابق.

(٣) دولة الرسول ﷺ في المدينة – دراسة في تكوينها وتنظيمها-د.صالح أحمد العلي ص (١١٤).

ونص البند رقم (٤٣) على قطع السبيل على قريش أن تستفيد من المدينة أو من أحد سكانها، حيث حظر على من سكن في المدينة أو يؤوي أحداً من مشركي قريش[١].

ونصت بعض الفقرات في البند ذي الرقم (٤٧) والبند ذي الرقم (٤٢) أن مرد الشجار والتنازع إلى الله ورسوله محمد ﷺ.

ويفهم من هذا -تصريحاً أو تلميحاً- أن النبي ﷺ قد صار بيده زمام الأمور في المدينة، وتولى تصريف شؤونها الداخلية والخارجية.

فما من خلاف يحصل من أي قبيلة أو شجار يقع إلا ويرجع فيه إلى رسول الله ﷺ [٢].

ومن الجدير بالذكر أن النبي ﷺ لم يعدَّ اليهود أمة واحدة، بل اعتبر كل قبيلة من قبائلها لا علاقة لها بالأخرى، وفي المقابل جعل المسلمين كلهم مهاجرهم وأنصاريهم أمة واحدة وطرفاً واحداً[٣].

وبذلك استطاع الرسول ﷺ معاقبة كل قبيلة على حِدَة في نقضها للعهد أو قيامها بأعمال مخلة بالأمن[٤].

ففي هذا تحقيق لمبدأ العدالة، فحتى لا تؤاخذ قبيلة محافظة على العهد بجريرة قبيلة أخرى نقضت العهد، وهذا ما تم بالفعل، فلم يتعرض الرسول ﷺ لقبيلة بني النضير أو قريظة حال نقض بني قينقاع عهدهم لبقائهما على

---

(١) النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس ص (١٣٩).

(٢) النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس ص (١٣٩).

(٣) المصدر السابق بتصرف.

(٤) النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس ص (١٤١) بتصرف.

عهدهما، و لم يتعرض لقبيلة بني قريظة حال نقض بني النضير عهدهم لبقائهم على عهدهم.

فطبّق الرسول ﷺ مبدأ العدالة من جهة، ومن جهة أخرى يدل هذا العمل على الحنكة السياسية التي كان يتمتع بها النبي ﷺ.

وبهذا اطمأنّ النبي ﷺ على الوضع الأمني للمدينة من هجوم القبائل المجاورة لها، ومن فتنة اليهود المتوقعة وإثارتها للفتن والاضطرابات بين أفراد المجتمع المدني، ثم استطاع بعد ذلك وفي فترة وجيزة مواجهة قريش خاصة والتفرغ لها لإنهاكها اقتصاديّاً، فما من قافلة ذاهبة أو قادمة من الشام إلا وتعرض لها بإرسال السرايا أو الخروج إليها بنفسه ﷺ، و لم يكتف بذلك، بل تعدى خطر المسلمين على تجارة قريش بإرسال السرايا لقوافلها المتجهة إلى الطائف أو القادمة منه مما سبب إزعاجاً كبيراً لقريش، حتى كانت غزوة بدر التي كسرت فيها شوكة قريش لأول مرة وفي أول لقاء بين المسلمين والكفار، وفيها دَوَّى انتصار المسلمين في جميع أرجاء الجزيرة العربية، وقطع دابر القوم الذين كفروا والحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الرابع: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية الاقتصادية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في حث الإسلام على العمل والكسب الحلال.

المطلب الثاني: اهتمام النبي ﷺ بالنواحي الاقتصادية

المطلب الأول: في حث الإسلام على العمل والكسب الحلال

لا شك أن المال عصب الحياة كما يقال، وقد حث الإسلام على العمل والكسب الحلال، قال جل شأنه:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾[الملك:١٥].

وقال سبحانه:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة:١٠].

وقال النبي ﷺ: ((اليد العليا خير من اليد السفلى...))[١].

وبما أن الإنسان مأمور بالعمل فلا بد أن يكون كسبه حلالاً حتى يبارك الله له فيه، وإذا أراد الإنسان المسلم تنمية ماله، فلا بد أن يكون خالصاً من الشوائب المحرمة كالربا مثلاً، فإنّه ممحق البركة ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[البقرة:٢٧٦]، ويقول ﷺ: ((أيها الناس إن الله طيّب لا يقبل إلا طيباً...))[٢].

فالإسلام دين متكامل في كل شيء وليس للتواكل فيه مكان، فهو يحث على العمل في كل وقت إلى يوم القيامة، ومما يؤكد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ((إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة[٣]، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل))[٤]، وقال ﷺ: ((ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع

---

(١) البخاري، رقم (١٤٢٧)، وأحمد (٤٢/٢٤) رقم (١٥٣٢٦) تحقيق الأرناؤوط وآخرين.

(٢) صحيح مسلم حديث رقم (١٠١٥).

(٣) الفسيلة: النخلة الصغيرة، القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة: فسل.

(٤) مسند أحمد (٢٩٦/٢٠) رقم الحديث (١٢٩٨١) تحقيق الأرناؤوط وآخرين، وسنده صحيح كما قال المحقق.

زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»(١).

فهذه توجيهات نبوية وحث كريم للعمل على إعمار الأرض بالزرع حتى يأكل منه الإنسان والطير والحيوان، وإذا كان الإنسان قد أمر بالعمل وابتغاء الرزق، فإنّه قد أمر بالاقتصاد في ذلك، قال جل شأنه:﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[الأعراف:٣١].

فعدم الإسراف في الشيء يُنمي الاقتصاد ، وهو من الأمور المهمة التي عالجها الإسلام مبكراً وهي نبراس لمن أراد العمل والكسب الحلال، وإذا أراد الإنسان المسلم أن ينفع نفسه وأمته فليأخذ بالتوجيهات الربانية في عدم الإسراف، وأيضاً عدم التقتير على حد قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾[الإسراء:٢٩].

ومما يجب التنبيه له أن الإسلام الذي يأمر بإحياء الأرض ينهى أيضاً عن الغلو في ذلك والإسراف فيه، فمن صرف همّه ووقته وجهده في البحث عن المال فحسب فهو غالٍ في عمله هذا، قال النبي ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة(٢)، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاًّ لا ينزع حتى ترجعوا إلى دينكم»(٣).

ومن هنا نستطيع أن نفهم أن الحديث يحث على العمل، وفي الوقت نفسه يحذر من الإسراف فيه مع ترك الجهاد، لكن إذا كان هذا العمل يخدم المصالح الإسلامية من إعداد العدة للعدو، وإسعاد الآخرين فلا بأس.

---

(١) مسند أحمد (٢١/٨٨) رقم (١٣٣٨٩) تحقيق الأرناؤوط، وسنده صحيح.

(٢) العِينَة: أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به. النهاية (٣/٣٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن رقم (٦٤٦٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٢٩٥٦).

المطلب الثاني: اهتمام النبي ﷺ بالنواحي الاقتصادية

أدت هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة إلى زيادة الأعباء الاقتصادية الملقاة على عاتق أهل المدينة[1].

إلا أنّ النبي ﷺ عالج ذلك بنظام المؤاخاة الذي شرعه بين المهاجرين والأنصار حيث كان من بنوده أن يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه، وتقبل الأنصار رضي الله عنهم ذلك تقبّلاً حسناً، واستمر الحال كذلك حتى نسخ التوارث بعد معركة بدر بنـــزول الآية الكريمة: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[الأنفال:٧٥][2].

وعندما نقض بنو النضير العهد وأجلاهم إلى خيبر، كانت أموالهم خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنّه مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فقسمها ﷺ بين المهاجرين، و لم يعط للأنصار شيئاً إلا سماك بن خرشة -أبا دجانـــة- وسهل بن حُنيف؛ لأنّهما كانا من أشدّ الأنصار فقراً[3]، وكان إعطاء تلـــك الأموال للمهاجرين عن طيب خاطر الأنصار، وبذلك تحســـنت الظـــروف الاقتصادية عند المسلمين في المدينة، وتقاربت مستويات المعيشة بين الأنصـــار والمهاجرين.

وبما أن زراعة الأرض كانت من أهم الموارد في العصر النبوي -أو علـــى

---

(١) في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية جـــ(٢) ، الحياة الاقتصادية في صدر الإسلام، محمد ضيف الله بطاينة ص (١٠).

(٢) انظر: البخاري رقم (٢٠٤٨)، وتفسير ابن كثير (٦٣/٤).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٧١/٣-٤٧٢).

الأقل في بداية العصر النبوي- فقد كان النبي ﷺ حريصاً على استغلالها جيداً حتى يكثر الإنتاج ليسد حاجة الناس، فقد دخل النبي ﷺ بستان نخل للأنصار، فوجدهم يؤبرونه، فقال:« ماذا لو تركوه؟ فترك القوم تأبير النخل فلم تحمل ذلك العام، فراجعوا النبي ﷺ، فقال:«عليكم بما كنتم تصنعون، فإنما قلت لكم ولا أعلم»[1].

وقد استفاد النبي ﷺ من هذه التجربة فجعل إصلاح الأرض إلى أهلها، وبهذا يعلم أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذ بها، ولا يحول دون الاستفادة من تجارب الغير شيء أبداً، ولذلك لما فتح الرسول ﷺ خيبر أقرهم على إصلاح الأرض وزراعتها على أن يكون ثمرها بينه وبين أهلها بالتساوي[2].

وانتعش الاقتصاد في المدينة، وزاده انتعاشاً إقامة الأسواق التجارية في المدينة، فقد أمر النبي ﷺ بإقامة سوق مجاور للبقيع[3]، ثم نقلها إلى غربي المسجد النبوي[4].

وقد اهتم النبي ﷺ بأمر الأسواق وما يجري فيها من بيع وشراء، ومراقبة ذلك مراقبة شديدة، حتى لا تجلب إليه البضاعة الرديئة إلا إذا عُرِّفت، وإذا عرف عن هذه الأسواق عدم التطفيف في الكيل، وعدم الغش والكذب والخداع أتاه الناس من كل صوب.

وقد وضع النبي ﷺ ضوابط كثيرة للبيع والشراء والسلع المستوردة، كل

---

(١) الخراج ليحيى بن آدم ص (١١٤).

(٢) ابن إسحاق (ابن هشام) (٢/٣٥٦-٣٥٧) بسند مرسل.

(٣) وفاء الوفاء للسمهودي (٢/٧٤٧-٧٤٨).

(٤) البلاذري، فتوح البلدان (١/١٥).

ذلك مبثوث في كتب الفقه.

هذا، بالإضافة إلى ما كان يأتي المسلمين من غنائم وزكاة وخراج، حتى تحول المجتمع المدني خاصة في أواخر العهد النبوي إلى مجتمع يمكن أن يكون قد استغنى عن الآخرين بما عنده.

ومما يجدر ذكره أن المسلمين بالإضافة إلى بيعهم وشرائهم في أسواقهم الخاصة إلا أنهم كانوا يعرضون بضاعتهم في أسواق اليهود[1]، كما أن اليهود أيضاً كانوا يشاركون المسلمين في أسواقهم بالبيع والشراء بالبضائع التي لا يجيدها غيرهم كأنواع الأسلحة وأنواع الحُلي، ولا سيما بنو قينقاع الذين اشتهروا بذلك.

ويستفاد من هذه المعاملات التجارية بين المسلمين واليهود، أن للمسلمين شراء ما يستفيدون منه من اليهود وغيرهم وبخاصة الأسلحة.

---

(١) البخاري، رقم (٢٠٤٨)، وابن هشام (٢/٤٧-٤٨).

المبحث الخامس: أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية العسكرية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: في الغاية من إنشاء الجيوش العسكرية.

المطلب الثاني: في الضوابط التي وضعها الشارع للجيش الإسلامي

المطلب الثالث: الاهتمام باقتناء السلاح

المطلب الرابع: في التنظيم العملي للجيش الإسلامي

المطلب الأول: في الغاية من إنشاء الجيوش العسكرية

تختلف الغايات والأهداف في إنشاء الجيوش العسكرية عند الدول، فمنها: إنشاء الجيوش لحماية الدولة من التدخل الأجنبي فحسب، ومنها إنشاؤها لحماية المقدرات والمكتسبات، ومنها التعدي على الآخرين لزيادة نفوذ الدولة والسيطرة على أكبر قدر ممكن من الأرض؛ وذلك لأطماع اقتصادية في الغالب، ويرجع هذا كله إلى طبيعة تكوين الدول وقوة جيشها وتسليحه...إلخ.

وأغلب أهداف كثير من الدول غير شرعية وغير قانونية، وغالباً عند نشوب القتال بين بعض هذه الدول لتحقيق بعض الأهداف السياسية والاقتصادية تكون غير واضحة المعالم لجيشها، ويجهل ما يقاتل من أجله، شأنه في ذلك شأن قتال القبائل العربية قبل الإسلام؛ لأنّ الهدف في الجملة محدود ودنيوي بحت؛ لذلك يسود القوي ويستعلي على الآخرين، لكن تبقى الاضطرابات مستمرة ولا يستقر الأمن أبداً حتى تسقط تلك الدولة، وتأتي على إثرها أخرى...

لكن إنشاء الجيش الإسلامي تختلف أهدافه تماماً، فغاياته سامية، وغرضه نبيل، فالغرض ديني بحت لنشر الإسلام وإقامة شرع الله في الأرض لا لشيء آخر ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ ﴾[النساء:٧١]، ولكن لهذا القتال ضوابط ستأتي في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: في الضوابط التي وضعها الشارع للجيش الإسلامي

مما يدل على أن الدين الإسلامي دين العدل والرحمة والمساواة تلك الضوابط التي وضعها الشارع على الجيوش الإسلامية، وهي ضوابط وقيود خاصة لا يشاركه فيها أي جيش في العالم، والسيرة النبوية مليئة بذلك، فلا قتال دون سابق إنذار إلا لمن بلغتهم الدعوة، ولا قتال يتسم بالعنف الهمجي الذي يجهز على إزهاق الأنفس بحق وبغير حق. عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش، أو سريّة أوصاه في خاصته بتقوى الله عز وجل، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزُوهم باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر، اغزوهم فلا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال – فأيتهنّ ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام ...» الحديث[1].

قال النووي رحمه الله: «وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها، وهي تحريم الغدر، وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا، وكراهية المثلة، واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى والرفق بأتباعهم وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم وما يجب عليهم ويحل لهم وما يحرم عليهم وما يكره وما يستحب»[2].

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٣١).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/٣٧).

فهذه الوصايا الجامعة الشاملة من الرسول الكريم ﷺ ليست لجيشه فقط، وإنما هي للأمة الإسلامية عامة، فمن تمسك بهذه الضوابط كان الفلاح والنصر حليفه إن شاء الله.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة، لكن المقام لا يتسع لذكرها، منها قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع أهل خيبر[1]، وقصة معاذ بن جبل رضي الله عنه مع أهل اليمن[2]...إلخ.

المطلب الثالث: الاهتمام باقتناء السلاح

كان النبي ﷺ يدرك أن قوة السلاح لها أثرها البالغ في إحباط معنويات العدو، ولذلك اهتم ﷺ باقتناء السلاح، فقد صالح ﷺ بني النضير عندما أجلاهم إلى خيبر أن لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة إلا السلاح[3].

وحرص أيضاً على شرائها، فقد أرسل ﷺ مع سعد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه بعضاً من سبايا بني قريظة وأمره أن يبيعهم من أهل نجد، ويشتري بالثمن خيلاً وسلاحاً[4].

كما صالح ﷺ أهل خيبر على أن يُخَلُّوا بينه وبين الصفراء والبيضاء والحلقة ...[5]، واستعار ﷺ أدرعاً من صفوان بن أمية يوم حنين[6].

---

(١) مسلم، رقم الحديث (٢٤٠٤).

(٢) البخاري، رقم الحديث (٤٣٤٧).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/٣٥٨) رقم (٩٧٣٣).

(٤) ابن إسحاق (ابن هشام) (٢/٢٤٥) بدون إسناد.

(٥) سنن أبي داود رقم (٣٠٠٦) وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود (٢/٥٨٣-٥٨٤).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٢/٢٤) رقم (١٥٣٠٢)، وأبو داود رقم ٠٣٥٦٢)، وقد صححه العلامة =

وحثّ عليه الصلاة والسلام المسلمين في غزوة تبوك، فقال عليه الصلاة والسلام: ((من جهّز جيش العسرة فله الجنة)). فجهزه عثمان رضي الله عنه[1].

وهذا يدلّ دلالة واضحة على أنّ الجندي المسلم لا بد أن يقتنى السلاح ليكون على أُهبة الاستعداد، وفتّاكاً ليرهب به الأعداء، وذلك على ضوء قوله جل شأنه: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[الأنفال: ٦٠].

وحشد الجيوش والعتاد الحربي لمجابهة العدو لاتكفي، فلا بد من وجود القوة المعنوية المتمثلة في غرس العقيدة الصحيحة في نفس المسلم، وأن يكون القتال لإعلاء كلمة الله، فلا قتال لحسَب ولا لمال ولا لجاه ((مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)) [2].

فهذه من الأمور المهمة التي لا بد أن يدركها الجندي المسلم في كل زمان ومكان.

الألباني، انظر: إرواء الغليل (٥/٢٤٤) رقم (١٥١٣).

(١) البخاري مع الفتح (٥/٤٠٦-٤٠٧)، رقم (٢٧٧٨).

(٢) البخاري، رقم الحديث (١٢٣)، ومسلم/ حديث رقم (١٩٠٤).

المطلب الرابع: في التنظيم العملي للجيش الإسلامي

من الأشياء العجيبة تلك التنظيمات التي كان يتبعها النبي ﷺ، وتلك السياسة التي كان ينتهجها عليه الصلاة والسلام في غزواته.

١- فقد كان ﷺ إذا أراد غزو العدو جعل أميراً على المدينة يخلفه عليها حتى يرجع[١]، وإذا أرسل سرية أمَّر عليهم رجلاً منهم[٢].

وهذا يدل على أهمية وجود الأمير في السلم والحرب، وأنّ الأمور لا تنضبط إلا بوجوده.

٢- من سياسته العسكرية عليه الصلاة والسلام أنّه لا يريد غزوة إلاّ ورَّى[٣] بغيرها[٤]، حتى يباغت الأعداء ويأخذهم على حين غِرَّة، وهذا في حالة إنذارهم من قبل، أما مباغتتهم بدون إنذار فلا، وذلك كتصبيحه ﷺ بني النضير[٥]، وإخفاء خروجه ﷺ لفتح مكة وغيرهما[٦].

٣- كانت للنبي ﷺ رايات يحملها جماعة من أصحابه، فقد كانت للمهاجرين راية، وللأنصار رايتان واحدة للأوس، وأخرى للخزرج[٧].

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٣١).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٨، و٢/٩، ٢/١٢) وغيرها.

(٣) ورَّى بغيرها: أي أوهم غيرها، والتورية: أن يذكر لفظاً يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر، فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد، فتح الباري للحافظ ابن حجر (٨/١١٧).

(٤) صحيح البخاري، رقم (٤٤١٨).

(٥) انظر: مصنف عبد الرزاق (٥/٣٥٨) وما بعدها، رقم الحديث (٩٧٣٣).

(٦) انظر: البخاري، رقم الحديث (٤٢٧٤).

(٧) انظر في أمر الألوية والرايات: سنن الترمذي (٣/١١٥)، وفتح الباري (٧/٤٧٧)، والتراتيب الإدارية للكتاني (١/٣٢٠).

والهدف من حمل الرايات -والله أعلم- التميّز عن الغير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى تقاتل كل فئة تحت رايتها فتستميت دونها، وحتى لا تأتي الهزيمة من قِبَلها، وبما أنّ حامل الراية هو الأكثر عرضة للقتل، فلا بد أن يكون متصفاً بالشجاعة والإقدام؛ لأنّ الراية إذا سقطت انهار الجيش.

وقد كانت بعضُ راياتِ النبي مكتوباً عليها: لا إله إلا الله(1).

وهذا يدلّ على أنّ العبارات الإسلامية التي تكتب اليوم على الأعلام لها أصل في السيرة النبوية.

٤- كان النبي ﷺ إذا استنفر الناس وتجهزوا استعرضهم حتى لا يخرج معه إلا من كان قادراً على القتال، فكان ﷺ لا يسمح باصطحاب الغلمان، والعجزة كما حصل في غزوة أحد(2)، ولا يسمح للمشركين بالقتال مع المسلمين جنباً إلى جنب(3).

وهذا يدل على أخذ الحيطة والحذر؛ لأنّ المشركين يخشى منهم الغدر والخيانة وهم مظنة ذلك مع إخوانهم المنافقين.

٥- كان النبي ﷺ إذا وصل أرض المعركة اتخذ له مكاناً مناسباً وجعل جيشه في صفوف حتى لا يخترق، ثم يوصيهم بتقوى الله والصبر والسمع والطاعة، وكان يجعل لهم شعاراً يعرف به بعضهم بعضاً، وهذا الشعار يكون في كلمة أو كلمتين، مثل الشعار الذي كان لهم في غزوة بني المصطلق

---

(١) فتح الباري (٧/٤٧٧).

(٢) البخاري، رقم (٤٠٩٧)، ومسلم، حديث رقم (١٨٦٨).

(٣) صحيح مسلم، رقم (١٨١٧).

((يا منصور أَمِتْ))[1].

لأنّ بعض المقاتلين لا يعرف بعضهم بعضاً من تغطية السلاح لأشياء كثيرة من أجسادهم ووجوههم، فقد لا ترى إلا الحدق -العيون- منهم، فحتى لا يضرب بعضهم بعضاً كانت هذه الشعارات، وهي متوارثة بين الجيوش في هذا الزمن، لكن كلمة السر تختلف بالطبع من بلد إلى آخر.

٦- مشاورة أصحابه ﷺ: كان عليه الصلاة والسلام يتخذ كل التدابير وكافة الاحتياطات للعدو، من ذلك مشاوراته لأصحابه مما يجعل الجندي قريباً من الأمير، وفي هذه الحالة يمكن للجندي أن يشارك في صنع بعض القرارات العسكرية ويشير بما يراه، ومن ذلك إشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب[2]. وهذا العمل لم يكن معروفاً عند العرب، ولذلك تفاجأت قريش ومن معها عندما رأت الخندق حول المدينة.

٧- أيضاً كانت الحرب الإعلامية لها دور كبير، وإن لم تكن على عهد النبي ﷺ بهذه الصورة التي في زمننا، لكنها قريبة منها، وذلك كقصة نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه في غزوة الخندق عندما خذّل بين الفريقين المشركين واليهود من بني قريظة بطريقة معينة[3] أدت إلى فشل خطة الفريقين وبالتالي ساهمت في هزيمتهم بفضل الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ يقول:

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني (٦/١٣٤-١٣٥) رقم (٦٠١٥) عن سنان بن وبرة، قال: ((كنا مع النبي ﷺ في غزوة المريسيع...)) فذكره.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٦٦) معلقاً.

(٣) انظر تفصيل ذلك في مصنف عبد الرزاق (٥/٣٦٨-٣٦٩) من طريق الزهري عن ابن المسيب مرسلاً.

«الحرب خُدعة»[1].

٨- كان النبي عليه الصلاة والسلام يحاول جاهداً معرفة العدو وما يتعلق به من عدة وعتاد، وذلك بإرسال الجواسيس كما حصل في غزوة بدر الكبرى[2]، وغزوة الخندق[3]، وبني قريظة[4]، وغيرها.

فمن خلال تلك التنظيمات والتعليمات السائدة على عهد رسول الله ﷺ يمكن الاستفادة منها في هذا العصر وفي كل عصر، مع الأخذ بعين الاعتبار الاستفادة من التقنيات الحديثة في الكشف عن مخططات الأعداء، وكل ما يتعلق بتنظيماتهم ومخططاتهم ضد الإسلام والمسلمين، فلها أصل أصيل في سيرة المصطفى ﷺ.

وبهذا يتضح جليّاً أهمية دراسة السيرة النبوية في حياة المسلمين وضرورة العناية بها، وإن كان الموضوع فيه نقص كبير، فالسيرة النبوية هي لُبُّ الإسلام، ولا يمكن أن يفي هذا البحث المتواضع بجميع جوانبها، لكن ذلك جهد المقل، وإلا فالسيرة النبوية معين لا ينضب، وبحر لا تكدِّره الدلاء، والله المستعان، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) البخاري، رقم (٣٠٢٩)، ومسلم حديث رقم (١٧٤٠).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم (١٧٧٩).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم (١٧٨٨).

(٤) البخاري، حديث رقم (٤١١٣)، ومسلم، حديث رقم (٢٤١٥).

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فأحمد الله عز وجل على إعانته لي لإتمام هذا البحث المتواضع، والذي من خلاله اتضح لي الحاجة الماسة والكبيرة جدّاً لدراسة السيرة النبوية، كيف لا، وقد حوت حياة النبي ﷺ وما قدم فيها من تضحيات في العهد المكي وتبعها العهد المدني، والذي تجلت فيه شخصيته ﷺ بشكل واضح، في شتى مجالات الحياة، فكانت أعماله نبراساً للأمة تستضيء بنورها، وترشف من معينها الذي لا ينضب، فلا تبحث عن شيء من مناحي الحياة إلا وله أصل في سيرته ﷺ.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم علينا نعمة الأمن والإيمان تحت قيادة هذه الحكومة المباركة، وأن يجنبنا مسالك السوء، وأن يرينا الحق حقّاً، ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس المصادر والمراجع

١- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢- أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: سهيل زكار، ورياض زركلي دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٣- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، (ت:٧٧٤هـ)، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م، مكتبة دار المعارف.

٤- بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة- وثيقة المدينة، ضيدان بن عبدالرحمن اليامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٦- تاريخ الطبري- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، ٣١٠هـ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، دون ذكر تاريخ.

٧- التراتيب الإدارية، للكتاني، أبي عبد الله محمد بن جعفر، (ت:١٣٤٥هـ).

٨- تفسير الطبري، محمد بن جرير، (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، بمصر، دون تاريخ.

٩- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ت:٧٧٤هـ)، تصحيح نخبة من العلماء، طبع دار المعرفة، بيروت ١٣٨٨هـ.

١٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، لابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ١٤١٠هـ، المغرب.
١١- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت:٤٥٦هـ)، الطبعة الأولى:١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية.
١٢- جوامع السيرة، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، (ت:٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
١٣- الخراج، يحيى بن آدم القرشي، (ت:٢٠٣هـ)، تصحيح وشرح: أحمد شاكر، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.
١٤- دولة الرسول ﷺ في المدينة، دراسة في تكوينها وتنظيمها، صالح العلي، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت.
١٥- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
١٦- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (ت:٢٧٩هـ).إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، نشر دار الإسلام، الطبعة الأولى، محرم ١٤٢٠هـ.
١٧- سيرة الرسول ﷺ وصور مقتبسة من القرآن الكريم، محمد عزة دروزة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
١٨- السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، تاريخ الطبع ١٤١٢هـ، نشر مكتبة العلوم والحكم بالمدينة.
١٩- السيرة النبوية، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم،

(ت:١٥١هـ)، ط: الثانية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين.
٢٠- شرح صحيح مسلم للنووي، أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت:٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
٢١- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦هـ).
٢٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، (ت:٢٦١هـ).
٢٣- صحيفة المدينة، دراسة حديثية وتحقيق، لهارون رشيد محمد إسحاق، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، قدمت لجامعة الملك سعود بالرياض.
٢٤- الطبقات الكبرى، لابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت:٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.
٢٥- طبقات خليفة بن خياط شباب العصفري، (ت:٢٤٠هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
٢٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ)، مراجعة عبد العزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
٢٧- فتوح البلدان، للبلاذري، أحمد بن يحيى، (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ لعالم الكتب.
٢٨- فهرست ابن خير، أبي بكر محمد بن خير، (ت:٥٧٥هـ)، تحقيق: فرانسسكو كديرا، ط:٢، دار الآفاق ١٣٩٩هـ، بيروت.
٢٩- في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجزء الثاني، الحياة الاقتصادية في صدر الإسلام، ضيف الله محمد بطاينة، دار الفرقان ١٤٠٧هـ.

٣٠- القاموس المحيط، للفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت:٨١٧هـ)، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣١- لسان العرب المحيط، لابن منظور، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، دون تاريخ.
٣٢- مرويات عروة بن الزبير في السير والمغازي، جمع ودراسة: عادل عبد الغفور عبد الغني، رسالة دكتوراه، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة، نوقشت عام ١٤١٤هـ.
٣٣- مرويات موسى بن عقبة، جمع ودراسة: محمد باقشيش أبي مالك، منشورات جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أقادير، المغرب.
٣٤- مسند أحمد بن حنبل، (ت:٢٤١هـ)، إعداد: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بدمشق، إشراف: إبراهيم الزيبق وآخرين، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٥- مصادر السيرة النبوية وتقويمها، فاروق حمادة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
٣٦- مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت:٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.
٣٧- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد محمد حسن شراب، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق:١٤١١هـ.
٣٨- المعجم الأوسط، للطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، (ت:٣٦٠هـ)،

تحقيق: أبي معاذ، طارق بن عوض الله بن محمد، وآخر، دار الحرمين ١٤١٥هـ، القاهرة.

٣٩- مغازي الواقدي، محمد بن عمر الواقدي، (ت:٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، لعالم الكتب.

٤٠- مغازي عروة بن الزبير، برواية أبي الأسود عنه، جمع وتحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض.

٤١- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا وأخيه، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية.

٤٢- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، (١٧٩هـ)، تصحيح وتعليق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، دون تاريخ.

٤٣- النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، دار الفرقان، عمان، الأردن.

٤٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري أبي السعادات، (ت:٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، وطاهر الزواوي، المكتبة العلمية، بيروت.

٤٥- وفاء الوفاء، للسمهودي، علي بن عبد الله الحسيني، (ت:٩١١هـ)، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، ١٣٢٦هـ.

٤٦- وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر.

فهرس الموضوعات